

عندما كان السوري يصف غسان تويني بـ «هذا الحقير»

بقلم: ميشال حدّيد

التبعية الماجور، والنظام البوليسي الاستبدادي. لكن العمل، لتبرير عمالته، يحتاج الى تزوير الحقائق والأحداث التاريخية وتصوير الشرعي على أنه «اغتصاب» واللاشرعي على أنه «دستوري».

● ● ●

● بدم بارد، وكل عميل أصلاً دمه بارد، يقول غسان تويني ان المساة اللبنانية «مسؤولية عونية» و«كتاب عوني». يتناسى غسان تويني انه كان مندوب لبنان الدائم لدى الأمم المتحدة خلال مرحلة طويلة من الحرب. ويضع حجراً ثقيلاً على ذاكرته كي لا يتذكر توصيفاته للحرب في لبنان بأنها «حرب الآخرين على أرض لبنان». فقد كان في الأمم المتحدة يرفض بعناد ما كان الأميركي والإسرائيلي والسوري يقولونه عن هذه الحرب بأنها «حرب أهلية» و«حرب طائفية».

وإذا كان غسان تويني ينسى فهو لا ينسى ابدأ أنه كان المستشار السياسي للرئيس السابق أمين الجميل وأحد رموز حكمه، وقد سلم الحكم دستورياً الى الجنرال عون تحت الحصار السوري المضروب حول بعيدا وتحت شلالات قذائف راجماته ومدافعه، وما كان لغسان تويني مكان آمن، في ذلك الوقت، سوى ملجأ مظلم تحت الأرض.. سلمه أشلاء متناثرة وحروباً طاحنة، وميليشيات متذابحة، وخطوط تماس تفصل بين الوطن والوطن وتعمل على تقطيع شرايينه وتستعبد الأهلين بوحشية العصور الوسطى.

باي ضمير يؤرخ هذا الغسان التويني للأحداث في لبنان؟ باي أخلاق يكتب؟ باي لبنان يحلم غير لبنان «الماسح» وعلى قياسه؟ جريمة الجنرال عون التي لا تُغتفر هي انه فضح أدوار الكل على الساحة وخصوصاً الدور السوري وعملائه من ميليشيات ونواب وسياسيين ورجال دين، وقال قولته المشهورة «أن الأوان لإنهاء هذه المسرحية الماساوية الكبرى... أن الأوان ليعود اللبناني سيداً على أرضه»..

فتزلزلت الأرض تحت أقدام الحكم السوري وطار صواب عقله، وربما أخطا الطريق والهدف، فأرسل مقاتلاته الجوية الى القصر الجمهوري في بعيدا بدلاً من الجولان وجنوب لبنان، وبدلاً من تحرير الجولان استتبع بعيدا للاحتلال نفسه لكن تحت قبعة حكمه.

● ● ●

● غسان تويني الذي كان، في أدبيات الحكم السوري، يسمّى بـ «هادا الحقير»، اصبح اليوم من اعلام تلك الأدبيات وكأنه محظور على أي صاحب قلم الانتساب الى هذا النادي ما لم يكن يحمل لقب «هادا الحقير».

فليهنّا غسان تويني بهذا العيش «الكريم» جداً. قد يكون رغيف الخبز الطالع من أفران الخيانة والعمالة أطيب، بالنسبة للبعض، من الرغيف الحلال لأن لا تعب فيه بل تنازل، فقط تنازل، عن الكرامة الشخصية والشرف الوطني.

ومع ذلك كله، لسنا بنادمين لأننا كنا ننتفض بوجه الحاكم السوري كلما وصف غسان تويني بـ «هادا الحقير». لقد كنا في تلك الأيام نحسب دفاعنا عن غسان تويني دفاعاً عن انسان شريف وقلم حر و«نهار» مشرقة. وما زلنا ندافع عن هذه القيم وحاملها.. وكما كنا نود لو أن غسان تويني بقي واحداً من الذين ندافع عنهم.

● تُرى، هل ما زال يذكر الأستاذ غسان تويني ما كان يقوله السوري عنه؟

هل ما زال يذكر انتفاضاتنا بوجه السوري كلما وصف صاحب «النهار» بـ «هادا الحقير» - (هذا الحقير)؟ كنا نشعر بأن الإهانة أصابتنا في الصميم لأننا كنا نعتبر غسان تويني أحد رموز صحافتنا الحرة. فإذا به يصدنا يومياً، ويضيف الى جروحنا جرحاً نارفاً آخر. اذا به يلتحق بمن كان يحقّره، ويبدأ من هناك بقصفنا نحن الذين كنا ندافع عنه ونحمل «نهاره» كأنها شمس النهار.

● ● ●

● لماذا يصرّ غسان تويني على التجنّي علينا، وعلى تحويل «نهاره» مشنقة للضمير، وعلى صياغة افتتاحياته على نحو يجعل قلمه «ممسحة» في بلاد الحاكم؟

هو لا يستطيع بيعنا الى الديكتاتور السوري. ولا الديكتاتور السوري يشتري انساناً مثل غسان تويني لأنه يعتبره «بضاعة كاسدة». فقط، هو يستعمله مثل سائر الذين عادوا اليه «تائبين». يستخدمه كأحد أجزاء واجهته الداخلية الاعلامية التي مهمتها: المديح له وكيل السباب لـ «الأوادم».

● ● ●

● تحت عنوان «مف هو لبنان؟» (8 الجاري)، كتب غسان تويني محاولاً تلطيف أقوال لبشار الأسد، افتتاحية لـ «نهاره» جاء فيها: «يفهمنا سيادة العقيد اذا نحن قلنا، بشيء من الارتباك، ان استعماله عبارة «الجيش هو الحل في حال فشل كل المؤسسات الاخرى»، يذكر اللبنانيين بعنوان مرحلة في تاريخهم (وبعنوان سبق المرحلة وربما مهد لها) هي «العونية» نسبة الى الجنرالين: «عون» صاحب الكتاب و«عون» صاحب المرحلة.. ونحن في غنى هنا عن الخوض في مناظرة مع الجنرال المنظر والجنرال الحاكم اغتصاباً من بعده.. فحسبنا، رداً على هذا وذاك، مجرد التذكير بالمساة التي كانت».

● ● ●

● «جنرال منظر» ما اسهل أن يكون القلم «ممسحة» بيد المحتل!! وتحت سقف خيانات هذا القلم، يصبح النضال الوطني الشريف «تنظيراً»... مجرد تنظير لا طعم له ولا لون ولا جذور ولا مستقبل... وإلا كيف تتحوّل المسلمات الوطنية في الأدبيات التوينية الى خطايا مميتة وجرائم يُحاكم عليها القانون؟! وأي قانون؟.. قانون المحتل وقانون «الماسح» و«الأزلام».

● ● ●

● «جنرال حاكم اغتصاباً» يا للعار!!

هل صحيح أن الجنرال عون وصل الى الحكم بانقلاب عسكري على طريقة أسياذ الشام أم وفقاً للعرف والدستور اللبناني وديمقراطية هذا الدستور؟

غسان تويني يعرف تماماً أن «الحكم العوني» كان خاتمة الحكم الشرعي الدستوري في لبنان بعد 47 عاماً من الاستقلال. ويعرف تماماً أن لبنان ما بعد حكم الجنرال عون هو لبنان المحتل، والحكم